من المدرسين والمؤلفين كانوا يتزعون الى تجديدها باتقان التلقين واجادة التأليف حتى لم تحرم الايام المتأخرة ممن افادوا اللغة والصناعة عمارقهم ولكنهم قليلون لا يكاد عددهم يتجاوز الانامل في المشرق والمغرب الى ان جاء عصر النهضة الحديثة فاستعادوا ذلك وحسنوه

هذه لمحة عن التربية والتعليم عند العرب سنردفها بلمحة ثالثة في كتب التربية والتعليم عندهم وانتخاب شيء منها امثلة لآداب الصناعة والله سبحانهُ من وراء حسن القصد زحلة عيسى اسكندر المعلوف

يهود العراق

(٢)

يجمل بنا ان نورد هنا ملخص مرويات السائح اليهودي بنيامين بن يونا التطيلي الذي زار العراق حوالي سنة ١١٦٠ وكتب شيئاً كثيراً عن احوال بني جلدته في هذا القطر ومما قال :

ان رئيس الربانيين كان يخرج في الطريق ويتقدمهُ مناد ينادي بصوت عالٍ سهلوا الطريق لابن داود . وكان الخليفة قد أمر جميع الناس على اختلاف مللهم ونحلهم ان يقوموا اجلالاً لهُ ومن لم يقم يجلد وان كان من المسلمين وكان لليهود عدة مجالس تدير شؤونهم وقد اسهب كل الاسهاب في اعمال تلك المجالس ولكن بعد عشرين سنة من زيارة بنيامين العراق زارهُ الربان بتاشيا من مدينة راتزبون (١١٨٠) وقال ان في بغداد نحو ١٠٠٠ يهودي يخرجون داعماً مبرقعين

ويظهر من اقوال المؤرخين ان الخلفاء العباسيين كانوا يصادقون على انتخاب رؤساء الربانيين برسوم يضاهي الفرمان الذي كان يعطيهم اياهُ سلاطين آل عثمان. وطريقهم في كتابة المراسيم ان يفتتح بلفظ « هذا كتاب امر بكتبهِ فلان ابو فلان الامام الفلاني امير المؤمنين الفلاني لفلان ثم يقال اما بعد فالحمد لله ويؤتى فيهِ بتحمدة او ثلاث تحمدات ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعية حتى اهل الذمة وانهُ انهى اليهِ حال فلان وسئل في توليتهِ على طائفتهِ فولاهُ عليهم المزية على غيرهِ من ابناء طائفتهِ ونحو ذلك ثم يوصيهِ بما يناسبهُ من الوصاية

٨ يهود العراق وسيطرة المغول

دالت دولة العباسيين من العراق بقتل المستعصم بالله على يد هولاكو المغولي سنة ٦٥٦ هجرية (١٢٥٨ م) . وعند استيلائهِ على بغداد قتل اصحابهُ اغلب سكانها شرّ قتلة وكان اليهود من الذين تجرّعوا غصص النائبات في هذه الحقبة الاّ انهم نـوا ما حلّ بقومهم بعد سنوات قلائل ففي حوالي سنة ١٢٨٤ م اشتهر الطبيب اليهودي سعد الدولة الذي خلف جلال الدين السمناني في وزارة المالية . وكان واقفاً كل الوقوف على حالة المال في الولاية . ولما استتب الامر لهُ أقام اخاهُ فخر الدولة ناظراً عاماً على مزارع العراق وسائر اقاربهِ في وظائف اخرى من وظائف الدولة في اقطارها القريبة من بغداد . لكن هذه المنزلة التي حصل عليها الطبيب اليهودي لم ترق باعين اقطاب الدولة فتآمروا عليهِ وفتكوا بهِ . ومنذ ذلك الحين امسى اليهود في ضيق عظيم فقام عليهم البغاددة وباديهم الاسلحة الاّ انهم كانوا قد استعدوا لهذه الوقعة فدافعوا عن انفسهم وكان القتل في الجانبين عظيماً

وفي سنة ١٢٩٥ اصدر الامير نيروز امراً يقضي بتخريب كنائسهم وقتل رؤساء دينهم وصدر هذا الامر في مراغة وبغداد وغيرهما من الامكنة

وفي سنة ١٣٢٢ امر السلطان ابو سعيد بهادر المغولي ان توضع العلائم عليهم تمييزاً لهم من قومهِ عند وقوع الفتن

٩ اليهود وملوك الفرس

حدث في سنة ٨٩٩ هجرية — ١٤٩٣ م حادث هلعت لهُ قلوب يهود العراق وهو ان يهود ايران عصوا على الدولة فقاتلهم الاهلون واهلكوا منهم ثلثمائة الف يهودي

وفتح الشاه اسمعيل بن حيدر بن جنيد بغداد سنة ٩٠٥ هجرية (١٤٩٩ م) وقتل كثيرين من مسلمي السنة وذبح جميع نصارى المدينة ولم يبق احداً منهم اما اليهود فانهُ لم يتعرض لهم لانهم جاملوهُ وادوا لهُ جليل الخدم

وكان يهود العراق يذهبون الى بلاد فارس للتجارة والاعمال فقد قال احد الرحل الايطاليين الذي زار بلاد فارس في الربع الاول من القرن السادس عشر ما ترجمتهُ «وهناك (في تبريز) يهود ايضاً ولكنهم ليسوا من سكانها المستقرين فيها

فانهم جميعهم غرباء يأتون اليها من بغداد وكاشان ويزد وهم من الشيعة الصفوية ويسكنون في الخانات كسائر التجار الغرباء »

١٠ نظرة اجمالية

قد بلغنا الآن عصراً تكتنفهُ ظلمات الجهل في العراق وتعز الموارد التاريخية على الباحث لاسيما الحوادث التي تفيد موضوعنا هذا . في هذا العصر يدخل تاريخ يهود العراق في غموض لقلة التآليف في عهد امست الديار ميدان الحروب والفتك بتقلب الحكومات وكانت كل فئة ضعيفة تحاول ان تخفي كيانها عن اعين الفاتحين او تريد ان تعيش عيشاً ذليلاً تتفيأ بفيء اقوياء البلاد وتستظل بظل زعماء المحلة ولهذا لم يكثرت المؤرخون لهم ولاخبارهم. ولانقطع بعدم وجود المصادر لتاريخ يهود العراق في هذا العهد بل نذهب الى انها مبعثرة بين الاضابير المصونة في البيوت ومشتتة في تضاعيف الرحلات واخبار المتجولين في هذه الاقطار وغاية ما نرغب الى الادباء وحملة الاقلام واليهود ان ينشروا ما تقع ايديهم عليهِ من اخبار هذه الامة في ديار بين النهرين ولهم بذلك فضل على العلم

ومما هو حري بالذكر ان يهود العراق بقوا في هذه الديار في القرون التالية ولم يضطروا الى مغادرة اوطانهم لما حدث فيها من الشغب كما فعل النصارى الذين هجروا بغداد والبصرة وكل مدن العراق والتجأوا الى قمم جبال كردستان وبلاد الفرس فانقطع ذكرهم من عاصمة العباسيين وخربت كنائسهم وهدمت معابدهم وباتت اديرتهم عشاً للبوم والغراب وباد كل معهد لهم ولم تعد فئة من النصارى الى مدينة السلام الا بعد قرن او اكثر من قرن . والسر في الامر ان اليهود رضخوا لتقلبات الزمان وصروف الدهر ونوائبهِ وجاملوا الامراء والحكام. فهذا هو الشعب الذي يلتوي مع التواء الزمان ويعيش ناعم البال في وسط التقلبات السياسية

ومن السياح الذين ذكروا يهود العراق سنة ١٦٠٤ الرحالة بدرو تكسيرا الاسباني قال : وفي بغداد من ٢٠٠ الى ٣٠٠ بيت من اليهود . وبينهم ١٢ او ١٥ بيتاً يرجعون اصلهم الى الاسرى الاولين وبعض هذه الطائفة اغنياء ولكن اغلبهم في فقر مدقع وجميعهم يسكنون في محلة منفردة وعندهم « كنيس » او معبد ويمارسون دينهم بكل حرية

١١ في عهد الاتراك

اول مرة احتلّ الاتراك بغداد سنة ١٥٢٧ م في عهد السلطان سليمان خان القانوني الاّ ان الفرس كانوا يتعينون الفرص لنزعها من ايدي الاتراك حتى ظفروا ببغيتهم سنة ١٦٢٣م في عهد الشاه اسماعيل الصفوي وكان يومئذٍ السلطان مراد الرابع جالساً على سرير السلطنة العثمانية الاّ انهُ لم يتمكن من استرجاعها الاّ في سنة ١٦٣٨ م . ويظهر من التقليد الموجود عند اليهود ومن المرويات المتنقلة اليهم من اجدادهم ان السلطان مراد الرابع كان رؤوفاً بهم وقد غمرهم باحسانهِ ونعمهِ

ومن الرحّل الذين ذكروا اليهود في العراق نبيبهر وذلك في سنة ١٧٦٦ م . قال في معرض كلامهِ عن الكفل قرب الحلة « ان الكفل هو اسم النبي حزقيال بالعربية يأتي لزيارة قبرهِ الوف من اليهود سنوياً الاّ انهُ لا يوجد فيهِ كنوز ولا فضة ولا ذهب ولا جواهر . والقيم عليهِ مسلم يربح كثيراً من تفحات الزائرين »

الى ان قال : وفي الموصل ١٥٠ بيتاً يسكنها اليهود ولهم حرية في البلاد التركية لكسب عيشهم اكثر مما لهم في اوربا حيث منعوا من تعاطي المهن . ومع ذلك فانهم ممتهنون في بعض المدن وعرضة للاهانة وسخرية الصبيان والحاكم لا يدفع عنهم هذا الاجحاف . وكثيراً ما يتهمون بقتل اولاد النصارى ويحكم الباشا على الامة كلها بدفع غرامة لاهل المقتول »

واليك ما قال الرحالة الفرنسوي روسو بعد ما زار العراق في اوائل القرن التاسع عشر . قال :

« ان اليهود يسكنون في محلةٍ واحدة في زاوية من مدينة بغداد والاتراك يحتقرونهم ويبغضونهم في كل آنٍ وحالتهم السياسية والعمرانية منحطة كل الانحطاط ومع ذلك كلهِ كانوا يتوصلون الى دخول السراي ودار المكوس وبيوت الوجهاء حيث يجدون من يستخدمهم في خدم مختلفة . وكان من ابناء قومهم في البصرة رجال يتعاطون التجارة اه

وبين يهود العراق الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر رئيس الصيارفة حزقيال واخوهُ عزرا . وعزرا المذكور كان قد تولى شؤون دار الضرب في بغداد حيث كانت تضرب النقود النحاسية عند الاقتضاء . وهو الذي ضرب قدراً من عملة النحاس باسم الوالي سعيد باشا واخذهُ مع اخيهِ الى الاستانة

حيث عرضهُ على الباب العالي ايقاعاً بسعيد باشا فتتم الباب العالي على الوالي وامر بعزلهِ فقتل سنة ١٨١٧

وفي عهد داود باشا الشهير الذي خلف سعيد باشا المذكور على العراق اشتهر رئيس الصيارفة اسحق وكان من الذين استشارهم الوزير داود في امر صادق افندي الذي كان الباب العالي قد ارسلهُ لينصح الوزير في امر يحرضهُ على طاعة السلطان وتقديم النقود الى الخزينة فاشار عليهِ اسحق اليهودي ان يقتل الموفود من قبل السلطان تخلصاً من شره . وزوّد الصيرفي الوزير ببعض الاخبار التي اتتهُ من ابيهِ في العاصمة وكان يجهلها داود باشا . فعملاً بمشورة اللجنة قتل الوزير صادق افندي شرّ قتلة

وبعد ابادة دولة المماليك من العراق وآخرهم كان الوزير داود باشا اخذت احوال اليهود بالرقي لاسيما في عهد ولاية مدحت باشا الشهير سنة ١٨٦٨ . وقابل اليهود اعلان الحكومة الدستورية ١٩٠٨ بالسرور والترحيب. وكان ناظم باشا من اعظم الولاة ولاءً لليهود ودفاعاً عن حريتهم وسعياً في سبيل راحتهم ونجاحهم ولهذا بكاه اليهود يوم عزلهِ من منصبهِ سنة ١٩١١ ومنذ ولاية مدحت باشا على بغداد الى اليوم لم يقلق اليهود وراحتهم الاّ ثلاث حوادث ١ : مسئلة دفن الربان عبدالله في مقبرة النبي يوشع في عهد الوالي مصطفى عاصم باشا سنة ١٨٨٩ م فقد حدث بينهم وبين المسلمين ما هلمت لهُ قلوبهم الاّ ان الازمة انفرجت وحسم الاختلاف بدون ان يصيبهم اذى

٢ : الحركة الارتجاعية التي حدثت بعد اعلان المشروطية في رمضان من سنة ١٩١٨ الاّ ان تلك الفتنة لم تدم الاّ بضع ساعات . فخمدتها اعيان المدينة من المسلمين في مهدها

٣ : الجور والحيف الذي شاهدوهُ من رئيس الشرطة ومعاون الوالي في اخريات ايام الاتراك في بغداد سنة ١٩١٧

١٢ يهود اليوم

في بغداد حاضرة العراق نحو ٦٠٠٠٠ يهودي ولهم كنائس كثيرة ومدارس ابتدائية عديدة ومدرسة واحدة ثانوية وقد شيد مبانيها السر البرت ساسون البغدادي الاصل الانكليزي التبعة تدرس فيها الفرنسية والانكليزية والعربية

والعبرية وكان تدرس فيها التركية في عهد الاتراك كما تدرس فيها العلوم العصرية ولهم مدرسة جميلة للاناث ذكرناها غير مرة في المقتطف الاغر وهي من المدارس الثانوية ايضاً ويقوم بادارة شؤون هاتين المدرستين معلمون ومعلمات من اوربا ومن الوطنيين وهما من المؤسسات التابعة لجمعية الاتحاد الاسرائيلي في باريس

وليهود طائفة في البصرة يبلغ عددها نحو ٤٠٠٠ نسمة وفي الموصل طائفة مثلها يبلغ عددها ٢٥٠٠ نسمة ولا تكاد مدينة من مدن العراق او قرية من قراهُ تخلو منهم . وان القومَ في العراق لاسيما في بغداد والبصرة على جانب عظيم من الاثراء واغلبهم تجار لا بل ان زمام التجارة بيدهم وهم قادة حركتها ولهم بيوت عامرة زاهرة ووكالات في اوربا والهند واليابان وبلاد فارس ومنهم محامون واطباء وصيادلة واعضاء في محاكم القضاء . ومنهم الصاغرة والجهابذة والصاغة وغير ذلك

وقد نالت بعض اسر يهود العراق منزلة رفيعة والقاباً ورتباً من الحكومات نخص بالذكر منهم اسرة ساسون الشهيرة في انكلترا والهند وقد لقب اكثر اعضائها بلقب « سر » . والعهد حضوري . ومن الذين تسنموا ذرى العلى ساسون افندي معلم حاخام سموث بغداد في الحكومة العثمانية . وأسرة داهيال العريقة الشرف وهما من الاطيان والمزارع شيء كثير

وليهود مطبعتان مطبعة بيخور وهي قديمة العهد ولكنها صغيرة والمطبعة الثانية مطبعة دنكور وهي حديثة العهد الاَّ انهُ ينقصها الاتقان في الطباعة

وعندهم مستشفى عام تبرع بنفقاته الطبيب الذكر مئر الياس وعندهم مستوصف وصيدلة . وكانوا قد اسسوا مدرسة صناعية الاَّ انها اوصدت ابوابها على اثر نشوب الحرب

ويتولى ادارة شؤونهم الدينية والقومية رئيس الربانيين ويدعونهُ «الحاخام باشي» وهو يمثل جماعتهم امام الحكومة المحلية ويساعدهُ في الامور الروحية وفتاوي الزواج والارث وغيره لجنة من رجال الدين يدعونها « بيت دين » اي بيت القضاء ولهم مجلس جسماني شوروي وهذا المجلس يدير الاوقاف والمدارس يجتمع برآسة كبير ربانييهم ويتفاوض في مصالح الامة غير الدينية . ولهم لجان عديدة غير هذين المجلسين ومنها لجنة المدارس ولجنة الفقراء وغير ذلك

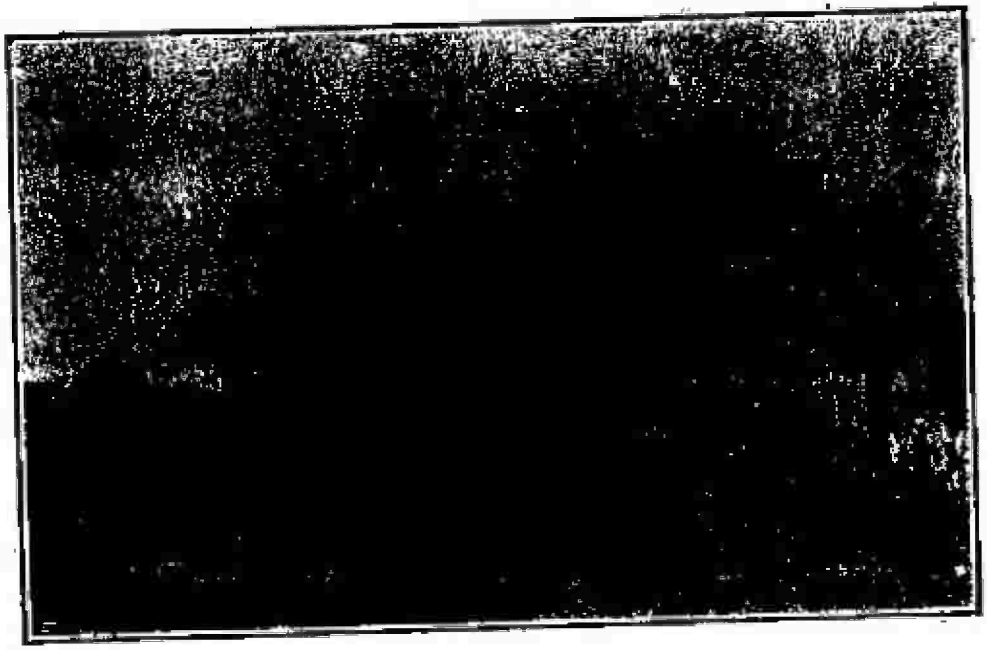

مزار النبي يوشع في بغداد

مقتطف اكتوبر ١٩٢٠
امام الصفحة ٢٨٥

ولهم اربعة معاهد دينية قديمة في العراق :

١ : قبر حزقيال النبي وهو المعروف بالكفل وفيهِ مأذنة غريبة الهندسة اذا رقيها الرجل وبلغ منها مبلغاً من العلو وجد هناك عوداً يهزهُ فتهتز المأذنة كلها (كذا) .وموقع هذا المزار قرب حلة بني مزيد

٢ : قبر العزير . موقع هذا المعهد في بقعة منفردة من الارض على عدوة دجلة اليمنى بين القرنة والعمارة قرب ملتقى دجلة والفرات . والعزير هو عزرا كاتب الشريعة الذي مرَّ ذكرهُ في هذه المقالة .وقد اختلف المؤرخون في مدفن هذا الصالح ومحل وفاتهِ واصح الآراء انهُ دفن في اورشليم فيؤمهُ اهل التقى من اليهود في ايام القنطقستي

٣ : قبر النبي يوشع : وموقعهُ في جانب الكرخ قريب من قبر الست زبيدة كما ترى في الرسم . وتقاليد يهود العراق تجعل هذا القبر مدفن النبي يوشع والاصح انهُ مدفن احد الربانيين وقد تنازع هذا المكان المسلمون واليهود وقامت القيامة بينهما وكانت الحكومة العثمانية قد توسطت لحسم الخلاف بين الفريقين وارسلت لجنة لتلك الغاية

٤ : مدفن الشيخ اسحق : زرنا هذا الضريح والكنيس المجاور لهُ في اليوم العاشر من شهر شباط من السنة الحالية وهما في بغداد في جانب الرصافة في محلة اليهود . فرأينا البناء حديث عهد قد جددهُ اليهود بعد ان كان قد اكل عليهِ الدهر وشرب . وقد رأينا فوق احدى نوافذ الضريح صخرة مكتوباً عليها بالعبرية ما تعريبهُ :

تاريخ الراقد الصالح الربان اسحق الكاووني المتوفى سنة ٦٢٠ لخراب بيت المقدس .اه ويذهب اليهود انهُ صيرفي كان في خدمة الامام علي ابن ابي طالب . وفي هذا الزعم نظرٌ لا محل لذكره هنا

وهناك شرذمة صغيرة من يهود العراق تبلغ نحو ٢٠ بيتاً تسكن في القرى الواقعة بين هيت وعانة وهي من فرقة القرائين الشهيرة ويعجب اهل البحث كيف انها حفظت كيانها في وسط كله مسلمون بينما يهود العراق جميعهم من فرقة غير فرقتهم

بغداد يوسف رزق الله غنيمة